–([2]) **Archives de Vincennes Paris, service historique de l'armé de terre , 1 H1678 (Etudes des possibilités de la rébellion Algérienne dans le cadre d'un conflit avec le Maroc, la Tunisie et en pays du moyen orient), du 15 juin 1956, pp 1-11**.

–([3]) **Op.Cit, 1H1678 (Conférence sur la situation de la rébellion Algérienne forte à Alger le 28 Nov.1959 par le chef du 2eme bureau de l'etude major d'infanterie) pp 1-9**.

([4]) –نفس المصدر.

([5]) –نفس المصدر.

([6]) –نفس المصدر.

(*) – حول قدرات جيش التحرير الوطني على الحدود الشرقية الجزائرية التونسية ، انظر دراستنا المقدمة للملتقى الدولي المنعقد بالجزائر في جويلية **2005** بعنوان "جيش التحرير الوطني الجزائري".

(**) –نظم المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر **1954** ملتقى بولاية نعامة حول "لسد الشائك وحقول الألغام" وأتممت مشروعا علميا معتمدا بوكالة البحث الوطنية المسجل بنفس المركز حول نفس الموضوع معتمدا أساسا على وثائق الهندسة العسكرية الفرنسية والتقارير السرية الجزائرية.

–([7]) **Op.Cit, 1H1678 (Conférence sur la situation de la rébellion Algérienne forte à Alger le 28 Nov.1959 par le chef du 2eme bureau de l'etude major d'infanterie) pp 1-9**.

–([8]) **Op.Cit, 1H1600 (Effectifs ALN au Maroc, Rapport du 2éme Bureau de Etat major), Alger, le 22 Juin 1960, pp 1-2**.

سيدي بلمرسلي وقبيلة الجبلية من خلال ذاكرة العائلات وأرشيفها.

أ./ **ودان بوغوفالة**

نعتمد في هذه المقالة على ما نقلته الرواية الشفوية[1] من جيل إلى جيل، للتعريف بالولي الصالح الشيخ *سيدي بلمرسلي* بن بومدين بن عبد القادر الشريف الراشدي، وهذا بعد أن تعذر علينا العثور على مصادر مكتوبة تتناول الموضوع وتقدم ترجمة (***Biographie***) وافية له. وتعتبر مخطوطة "كتاب الأشراف" التي تستعرض نسب *سيدي بلمرسلي* وذريته وعائلته الموسعة هي المصدر المكتوب الوحيد إلى حد الآن الذي هو بين أيدينا، وقد تحصلنا عليها من إحدى العائلات التي سلمتها لنا كوثيقة أصلية تتكون من بعض الأوراق، ويعود تاريخ تدوينها فيما نرى إلى مستهل القرن العشرين أو إلى ما بعد نهاية الحرب العالمية الأولى على أكثر تقدير .

هذا، وتعتبر الإشارة الموجزة إلى هذه الشخصية التي وردت عرضا عند المؤرخ الفرنسي الشهير وعالم الاجتماع *جاك بارك* (***Jacques BERQUE***)، إشارة ذات أهمية قصوى في التأسيس التاريخي لهذه الرواية الشفوية وتحديد إطاريها الزماني والمكاني، ومن ثم إعادة بناء تاريخ هذا الفقيه وعائلته، ونقله من مجرد تعبير شفوي وخطاب موروث وذاكرة جماعية مروية إلى تاريخ مكتوب ووثيقة مادية مدونة بالمواصفات العلمية المطلوبة والمتطلبات المنهجية الضرورية.

عاش *سيدي بلمرسلي* في القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي، وبذلك يكون قد عاصر *العثمانيين* بعد أن خضعت لهم الجزائر نهائيا سنة **1518**م.

---

* **أستاذ مكلف بالدروس- المركز الجامعي مصطفى اسطمبولي بمعسكر.**

ورث عن *والده سيدي بومدين* الزاوية التي أسسها *جده عبد القادر بن عبد الواحد* بالجبل الأخضر– شمال بلديتي عين الحديد وتخمارت بولاية تيارت – في تاريخ سابق، وتخرج منها على يديه عدة علماء وفقهاء بفرندة ومازونة ومعسكر . وتكونت من نسل عائلة *سيدي بلمرسلي*– أعمامه وإخوانه وذريته– قبيلة *الجبلية* التي يتوزع أبناؤها الآن في بلديات ولاية تيارت : مدريسة وفرندة وعين الحديد وتخمارت والجيلالي بن عمار ومشرع الصفا، كما يوجد عدد لابأس به من عائلات هذه القبيلة بولاية معسكر خاصة

ببلديات وادي الأبطال وعين فراح وهاشم والزلامطة . وتأكد مؤخرا بعد التحقيق وجمع شهادات فقهاء قبيلة الجبلية وشيوخها تبعية جماعة المراسلة بمدينة الأبيض سيدي الشيخ – ولاية البيض – إلى هذه القبيلة، وذلك بالانتساب إلى أحد أبناء *سيدي بلمرسلي* وهو *عمر بن المرسلي* الذي هاجر إلى المغرب الأقصى في حياة أبيه، واستوطن بضواحي الرباط.

الإشكالية: من هو سيدي بلمرسلي ؟ وماهي حقيقة اسمه في حد ذاتها مادام هذا الاسم لا يظهر في سلالة النسب التي ينحدر منها هذا الولي ولا في سلالة نسله من بعده إلا في النصف الثاني من القرن 19م وخلال القرن 20م ؟ ما علاقة هذه الشخصية بالقوى السياسية وجهاز الحكم القائم، وكيف تطورت فيما بعد مع الأجيال اللاحقة من نسله وذرية عائلته الموسعة ؟

إلى أي مدى يمكننا الاعتماد على الرواية الشفوية للتأريخ لهذا الفقيه وإنقاذ تاريخ وتراث قبيلة الجبلية أمام إخفاء بعض العائلات لأرشيفها الخاص وتحفظها عن تمكين الباحثين منه، وفي غياب المصادر والوثائق العامة المكتوبة الأخرى ؟ ماهي المصادر التاريخية التي يمكن اللجوء إليها والاستناد عليها في التأسيس التاريخي لهذه الرواية إذا ما افترضنا بأن انعدام الوثائق يعود إلى ظروف اللاإستقرار التي مرت بها القبيلة خلال العهد العثماني بمناسبة فتح وهران الثاني سنة 1792م والثورة الدرقاوية سنة 1804م، وبعد مجيء الفرنسيين وانضمام فروع القبيلة إلى مقاومة الأمير عبد القادر(1832–1847م) وإلى الثورة الوطنية سنة 1954م ؟.

ماهي الأبعاد الجيواستراتيجية للمنطقة الجغرافية التي استقرت بها عائلة سيدي بلمرسلي، وهل كان للعائلة مشروع تأسيس مدينة على ظهر هضبة الجبل الدقيق[2]، لما تتوفر عليه هذه المنطقة من مقومات ومواصفات مدن الفترة التي عاش فيها سيدي بلمرسلي ؟ ما هو الإشعاع الثقافي والتأثير الروحي للغوث[3] سيدي بلمرسلي وزوايا قبيلة الجبلية على سكان منطقة صدامة والمناطق المجاورة لها في التاريخ الحديث ؟

التعريف بمخطوطة "كتاب الأشراف": مخطوطة كتاب الأشراف هي عبارة عن لفة وثائق تاريخية عثرنا عليها عند إحدى العائلات التي تربطنا بها علاقة قرابة[4]، وهي تتكون من عدة صفحات ذات حجم كبير وغير مرقمة، لونها أصفر وبها خطوط زرقاء رفيعة، خطها مغربي مكتوب بالحبر الأسود والأحمر . ويوجد بأعلى الصفحة الأولى تاريخ الفاتح من رجب 1275هـ وهو ما يوافق شهر مارس من عام 1859م، كما يوجد تاريخ آخر في أسفل الصفحة الأخيرة يظهر غريبا فيها وقد أضيف إليها من بعد بلا شك وهو تاريخ 1198هـ الذي يوافق نهاية عام 1783م ومعظم عام 1784م .

وبعد إطلاعنا على محتوى هذا المصدر وجدنا أن التاريخين المذكورين مبالغ فيهما، لأن أحد الأشخاص المذكورين به قد وُلد بعد هذا التاريخ، وهو السيد ا أبو القاسم بن عبد القادر بن محمد – المدعو الحاج حمو بوغفالة– الذي وُلد في حدود عام 1892م وعاش أربعا وأربعين سنة وتوفي يوم 12 أكتوبر 1936م بريف مرغنيس بتيارت5. ونستبعد أن يكون هذا التاريخ المذكور أصليا في المخطوطة، أي هو التاريخ الذي كتبت فيه الأجزاء الأولى منها، ثم أضيفت إليها في تاريخ لاحق أجزاء أخرى تعني أجيال الخلف ومن ثم فالتواريخ المذكورة صحيحة، لأن المخطوطة كلها مكتوبة بخط واحد وبنفس الحبر وبها اسم من نقل سلسلة هذا النسب الشريف: « قد انتهت هذه الشجرة المباركة على يد ناقلها عبيد ربه عبد القادر بن أبي زيان المصطفوي »[6]، وبها كذلك اسم الكاتب وهو الماحي بن وذان الملقب ابن عبد الرحمان الجبلي الصدمي الراشدي الحسني[7].

ويُنسَب مضمون هذا الكتاب إلى بعض الأئمة الأعلام كالشيخ سيدي موسى بن عيسى المغيلي والإمام سيدي محمد بن محمد الحسيني الراشدي وغيره من الأئمة، وهو يتضمن التنويه بالنسب الشريف وبمكانة أهل البيت من خلال بعض الأحاديث النبوية وأقوال العلماء كجلال الدين السيوطي . ثم بعد ذلك يستعرض نسب سيدي بلمرسلي وعائلته الموسعة وبطون قبيلة الجبلية التي تشكلت أساسا من نسل هذه العائلة[8].

النسب والنشأة: لم نعثر في مصادر التراجم والمناقب على ترجمة للشيخ سيدي بلمرسلي[9]، كما أن مخطوطة كتاب الأشراف لا تشير إلى تاريخ ميلاده ووفاته، ولذا فإننا

لم نتمكن بعد من معرفة ذلك . غير أن الروايات الشفوية تُجمع كلها[10] على أن القرن الذي عاش فيه هذا الولي وعائلته هو القرن العاشر الهجري (900–1000هـ) الموافق لنهاية القرن الخامس عشر ومعظم القرن السادس عشر الميلاديين (1494–1591م)، ولسنا ندري إن كان لهذا التحديد الزماني من علاقة مع حادث سقوط غرناطة وما انجر عن ذلك من هجرة مسلمي الأندلس وتضامن المسلمين معهم في بلاد المغرب .

وإذا كان تاريخ الوفاة مجهولا فإن المكان معلوم، وهو محل اتفاق بين بطون قبيلة الجبلية[11]، ويقع في عرش مرغنيس بسهل بن وحشية قرب الجبل المعروف بجبل "بومعزة"، ويشار إليه باسم "مغسل بلمرسلي"[12]، ومنه حُمل النعش على ظهر بغلة شهباء حسب ما يُروى إلى الجبل الأخضر ليُوارى التراب[13]، وبنى أولاده على ضريحه قبة تم تجديدها فيما بعد على يد أبناء العشيرة أكثر من مرة . ومن الواضح أن الشيخ سيدي بلمرسلي كان كثير التنقل والترحال للتدريس والإفتاء والوعظ ونشر التعاليم الإسلامية بين صفوف العوام، وقد حظي عند هؤلاء بالتقدير والتبجيل إلى درجة الاعتقاد بالكرامات والخوارق

اشتهر سيدي بلمرسلي في عصره بالعلم والورع والزهد، فكان مقصد الزوار والمريدين وطلبة العلم من مختلف الجهات، وتتداول الروايات بهذا الشأن على أن سيدي عبد القادر بن محمد الذي اشتهر بلقب "سيدي الشيخ"(ت حوالي 1024هـ/ 1615 م) دفين الأبيض سيدي الشيخ كان أحد الذين احتكوا بالشيخ بلمرسلي وأخذوا عنه العلم[14]. ومما يرجح أن يكون ذلك قد تم فعلا هو أن سيدي الشيخ قد زار منطقة بني شقران وغريس وفليتة وبني توجين[15]، وهي كلها مناطق شكلت الفضاء الحيوي الذي كان يتحرك فيه سيدي بلمرسلي شرقا وغربا وشمالا وجنوبا انطلاقا من مركزه في الجبل الأخضر . وإذا كان سيدي الشيخ قد وُلد في حدود 951هـ/1544م16، فإن ذلك يعني أن سيدي بلمرسلي كان لا يزال على قيد الحياة في النصف الثاني من القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي، وربما يكون قد توفي مع نهاية القرن . هذا ونرى أنه من غير المستبعد أن يكون سيدي أحمد بن يوسف الملياني الراشدي دفين مليانة (ت عام 931هـ/1524–1525م) هو أحد أساتذة الشيخ سيدي بلمرسلي

البارزين الذين حضر دروسهم وأخذ عنهم العلم الشرعي ومبادئ التصوف[17] بزاويته بقلعة بني راشد قبل أن يتوجه إلى مليانة .

تشير مخطوطة"كتاب الأشراف"في البداية وقبل التطرق إلى نسب سيدي بلمرسلي، إلى مراجع الشرف على وجه الأرض فتذكرها وتحدد بعض الأسماء، حيث جاء فيها على لسان كاتبها : « أذكر السادة الذين تسند منهم الشرف شرقا وغربا قبلة وجوفا وهم عبد الله الكامل وعلي وعالم وهارون »[18]. ثم يتدرج السياق بعد ذلك لتأكيد صلة هذا النسب بالرسول صلى الله عليه وسلم عن طريق ابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها: «كتاب تضمين أنساب سادتنا الأشراف رضي الله عنهم أجمعين وهم سيدي أبو المرسلي وأبنائه وأعمامه وإخوانه ومنه إلى رسول الله عليه السلام »[19].

أما سلسلة النسب التي أوردتها هذه المخطوطة فهي كمايلي :« هو أبو المرسلي بن أبي مدين بن عبد القادر بن عبد الواحد بن علي بن يعقوب بن احمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن يحي بن راشد بن فرقان بن الحسن بن سليمان بن أبي بكر بن موسى بن فرقان بن محمد بن عبد القوي بن احمد بن يزيد بن علي بن موسى بن يسار بن يسار بن موسى بن سليمان بن موسى بن عيسى بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بن فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم»[20].

تنتهي هذه السلالة إلى الإمامين إدريس الأول بن عبد الله وابنه ادريس الثاني، وكان ادريس الأكبر قد هاجر من الحجاز متوجها نحو المغرب بعد ثورة العلويين على العباسيين سنة 169هـ/786م، ولما وصل مدينة وليلي عام 172هـ/788م بايعته القبائل البربرية تباعا خلال عامين من تلمسان شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا .أما ادريس الأصغر فلقد وُلد ببلاد المغرب بعد وفاة أبيه سنة177 هـ/ 793م من أم بربرية الأصل تدعى"كنـــزة"[21]. ولا تختلف كثيرا هذه السلالة عما تتناقله العائلات فيما بينها وتحتفظ به، فهي تتفق معها على العموم خاصة في الأسماء الأولى[22].

لا يزال البحث في بدايته، وننوي إثراءه مستقبلا بما جمعناه من شهادات وبما تفيض به مخطوطة "كتاب الأشراف" من معلومات قيمة حول عائلة سيدي بلمرسلي وأقاربه وبطون قبيلة الجبلية وزواياها في التاريخ الحديث والمعاصر .

هـــوامش:

1- تعتبر الرواية الشفوية مصدرا ضروريا لإنقاذ التراث وإعادة بناء الوقائع في غياب المصادر المكتوبة، انظر عبد القادر خليفي، « الرواية الشفوية والتاريخ »، مجلة عصور، العدد الأول، جوان 2002م، مخبر البحث التاريخي "مصادر وتراجم"، جامعة وهران، ص ص 135- 148.

2- هو الجبل الأخضر ويسمى كذلك بجبل صدامة.

3– الغوث هو الشيخ أو القطب الذي يلتجأ إليه، عن هذه المصطلحات أنظر: عبد المنعم الحفني، الموسوعة الصوفية، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة مد بولي، 2003م، ص ص 892، 913–915.

4– تحفظت كثيرا هذه العائلة ولم أتسلم منها المخطوطة بسهولة، وكان علي أن أُصر في كل مناسبة وأن أنتظر وقتا طويلا

5– أرشيف بلدية عين الحديد (ولاية تيارت)، قسم الحالة المدنية، شهادة رقم 228/12–10–1936 .

6– الماحي الجبلي الصدمي الراشدي الحسني، كتاب الأشراف، مخطوط، ملكية خاصة .

7– المصدر نفسه.

8– من البطون المذكورة أولاد سيدي المكي بن المرسلي وهم " الغوافلة " وأولاد سيدي مصطفى بن عالية وأولاد سيدي محمد بن المرسلي.

9– نذكر من هذه الكتب كتاب " البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان " لابن مريم التلمساني (ت 1020 هـ/ 1605م) وكتاب "نيل الابتهاج بتطريز الديباج" لأحمد بابا التنبكتي (ت 1036هـ/1627م)، وكتاب "منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية" لعبد الكريم بن الفكون (ت 1073هـ/1662م)، وكتاب "تعريف الخلف برجال السلف" للحفناوي (ت1361هـ/1942م)، وكتاب "معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى منتصف القرن العشرين" لعادل نويهض.

10– مقابلة خاصة مع السيد قصير عبد القادر، رئيس جمعية الولي الصالح الشيخ بلمرسلي، تخمارت(ولاية تيارت)، يوم الجمعة 2001/05/30

11– المصدر نفسه .

12– لاتزال " الدشرة " (بيت صغيرة) التي أقيمت في هذا المكان قائمة إلى يومنا هذا .

13– مقابلة خاصة مع السيد قصير عبد القادر ...، مصدر سابق .

14– جداريات زاوية الغوافلة، بلدية عين الحديد، ولاية تيارت .

15-C.Trumelet، L'Algérie légendaire، en pèlerinage ça et la aux tombeaux des principaux Thaumaturges de l'Islam (Tell et Sahara)، Alger، Adolphe Jourdan، 1892، pp.134-174 .

16- Ibid، p.139 .

17- عن سيدي أحمد بن يوسف والراشدية أنظر:

Louis RINN، Marabouts et Khouan، étude sur l'Islam en Algérie، Alger، Adolphe Jourdan، 1884، p.272 .

لم يرد اسم سيدي بلمرسلي ضمن قائمة تلاميذ سيدي أحمد بن يوسف الذين اشتهروا، ولكننا نفترض ذلك بحكم انتمائهما إلى نفس المنطقة الجغرافية – منطقة بني راشد– وعلى أن سيدي أحمد بن يوسف أدرك القرن 10هـ/16م وعاش منه الثلث(31سنة)، انظر: محمد حاج صادق، مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1964، ص ص 88–91 .

18– الماحي الجبلي: المصدر السابق.

19– المصدر نفسه.

20– المصدر نفسه.

21– سعدون عباس نصر الله، دولة الأدارسة في المغرب، العصر الذهبي 172–223هـ/788–835م،الطبعة الأولى، بيروت، دار النهضة العربية، 1987م، ص 90.

22–مقابلة خاصة مع السيد قصير عبد القادر...، مصدر سابق